انحسار دور المسجد في التعليم وآثاره التربوية

د/ لافي خليفة سالم العازمي

الأستاذ المساعد بكلية التربية الأساسية قسم الدراسات الإسلامية الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب بدولة الكويت

من ٩٢٩ إلى ٩٦٨

he decline in the role of the mosque in education and its educational effects

Dr. Lafi Khalifa Salem Al-Azmi
Assistant Professor, College of Basic Education,
Department of Islamic Studies, Public Authority for
Applied Education and Training, State of Kuwait

انحسار دور المسجد في التعليم وآثاره التربوية

لافي خليفة سالم العازمي
قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية الأساسية ،الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب ، دولة الكويت.
البريد الإلكتروني:lafi.alshn@gmail.com

الملخص :
تناولت هذه الدراسة الأسباب التي أدت إلى انحسار دور المسجد في التعليم والآثار التربوية المترتبة على ذلك، وبيان أن أهم الأسباب هو ظهور المدارس في العالم الإسلامي بعد (٤٠٠هـ) مع دراسة مسحية للأنشطة التعليمية لأشهر الجوامع والمدارس في الديار المصرية.
وأما المنهج الذي اتبعته في هذه الدراسة فينحصر في الخطوات التالية: توفير النصوص المتعلقة بكل مبحث على حده،و التحليل النقدي لبعض النصوص. وقمت المقارنة في بعض المواضع. كما قمت بالاختصار لبعض المباحث المهمة. و استخلاص بعض النتائج. وأما أهداف هذه الدراسة فمن أهمها: بيان الأسباب التي أدت إلى إلى انحسار دور المسجد في التربية والتعليم. و بيان الآثار التربوية والتعليمية التي ترتبت على انحسار دور المسجد. و بيان مكانة المسجد ودوره في التعليم والتربية.
وفي خاتمة هذه الدراسة أشرت إلى الآثار المترتبة على انحسار دور المسجد في التعليم منها ظهور بعض الانحرافات الاجتماعية مثل: المنازعة، والحسد، والتنافس الدنيوي، وهذه الانحرافات كان من الممكن أن لا تظهر لو كان التعليم بالمسجد، وبالمجان، لأن طبيعة التعليم بالمسجد لا يسمح بذلك.
وأخيرًا رصدت بعض الأنشطة التعليمية لأشهر الجوامع والمدارس المصرية بدراسة مسحية، من فترة تأسيسها إلى عصر المقريزي (٧٦٤هـ-٨٥٧هـ)، مع الإشارة إلى بعض الملاحظات التي تأثرت بتأثير ظهور المدارس على دور المسجد التعليمي والتربوي.

الكلمات المفتاحية: انحسار- دور- المسجد - التعليم -آثاره- التربوية.

He Decline In The Role Of The Mosque In Education And Its Educational Effects

Lafi Khalifa Salem Al-Azmi
Department Of Islamic Studies, College Of Basic Education, Public Authority For Applied Education And Training, State Of Kuwait.
Email: lafi.alshn@gmail.com

Abstract:
This study dealt with the reasons that led to the decline in the role of the mosque in education and the educational implications of that, And a statement that the most important reasons are the emergence of schools in the Islamic world after (400 AH), with a survey study of the educational activities of the most famous mosques and schools in the Egyptian homeland
As for the approach that I followed in this study, it is limited to the following steps: providing texts related to each topic separately, and critical analysis of some texts. I made a comparison in some places. I also summarized some important investigations. And draw some conclusions. As for the objectives of this study, the most important of them are: A statement of the reasons that led to the decline in the role of the mosque in education. And a statement of the educational and educational effects that resulted from the decline in the role of the mosque. And a statement of the status of the mosque and its role in education and upbringing. In the conclusion of this study, I referred to the effects of the decline in the role of the mosque in education, including the emergence of some social deviations, such as: conflict, envy, and worldly competition, and these deviations would not have appeared if education was in the mosque, and free of charge, because the nature of education in the mosque does not allow that. . Finally, some educational activities for the most famous Egyptian mosques and schools were monitored with a survey study, from the period of their establishment to the Maqrizi era (764 AH-857 AH), with reference to some observations that were affected by the impact of the emergence of schools on the educational and educational role of the mosque.

Keywords: Decline - The Role - The Mosque - Education - Its Educational Effects.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وأجمعين.

لا يخفى على باحث دور المسجد التعليمي والتربوي في تاريخ الأمة الإسلامية، وبالأخص في الفترة الواقعة فيما بين مطلع القرن الثاني الهجري ونهاية القرن الثالث على وجه التقريب(١)، فالمسجد كان مفتوحًا في أغلب الأوقات لكل طالب علم مهما كانت جنسيته، وفيه تنعقد الحلقات بجميع فنونها، ومازال دور المسجد حائزًا النصيب الأوفر في التعليم إلى أن ظهرت المدارس استجابة لتصور تربوي جديد، وكان ظهورها حدثًا جديدًا في الإسلام، ولم يكن في زمن الصحابة ولا التابعين، وإنما حدث عملها بعد الأربعمائة(٢)، فظهرت المدارس النظامية في العراق، ومدارس نور الدين زنكي في الشام، وغيرها، وصارت مناهج التعليم بمحتوياته وطرقه تحت إشراف الدولة التي تكفلت بتمويله وتخصيص ميزانية له.

وكان ظهور المدارس في حقيقته انحسارًا لدور المسجد في التعليم، كما أنه كان انحسارًا للعلم عن غايته، ويدل عليه توقف علماء ما وراء النهر وذلك حينما بلغهم بناء المدارس ببغداد فإنهم أقاموا ما يسمى مآتم العلم" وقالوا: كان يشتغل به أرباب الهمم والأنفس الزكية الذين يقصدون العلم لشرفه والكمال به فيأتون علماء ينتفع بهم وبعلمهم، وإن صار عليه أجرة تدانى إليه الأخساء وأرباب الكسل فيكون سببًا لارتفاعه"(٣)، ويدل عليه أيضًا أن

---

(١) عمر الشيباني: تطور التعليم العالي في ظل الحضارة الإسلامية، ص٨١.

(٢) المقريزي: الخطط المقريزية، ص٣٦٣.

(٣) حاجي خليفة: كشف الظنون ٢٢/١.

المتتبع لمناهج التعليم في القرون الثلاثة الأولى يرى انطلاقة فكرية مذهلة، وكان ذلك قبل ظهور المدارس الحكومية، حيث كان المسجد هو المؤسسة التعليمية الرئيسية فحسب.

وأما دور المسجد في العصور المتأخرة فإنه ضعيف جدًا، فأغلب المساجد تكون مغلقة إلا في أوقات الصلوات، ويمنع في غير هذه الأوقات المكث فيها أو ممارسة الأنشطة العلمية باستثناء مساجد معدودة مثل: المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والجوامع الكبيرة، ومن المؤسف أن المسجد صار في أعراف الناس إنما هو لأجل الصلاة فقط، وأما العلم فتعارفوا على أنه يكون في المدارس والجامعات، وإجمالًا فإن لظهور المدارس الأثر الأكبر في انحسار دور المسجد في التعليم، وترتب على ذلك آثار تربوية وأخرى اجتماعية سأتطرق إليها من خلال البحث.

وتعود أهمية البحث إلى عدة أمور من أهمها:

أولاً: حاجة المسلمين إلى معرفة دور المسجد في عصر ازدهار الأمة الإسلامية.

ثانيًا: حاجة الأمة الإسلامية إلى مؤسسة تعليمية مفتوحة للجميع ينتقل فيها طالب العلم بين شتى العلوم الإسلامية ويدير حلقاتها متخصصون في جميع الفنون الإسلامية تساند في الوقت نفسه دور المدارس والجامعات.

ثالثًا: حاجة المسلمين إلى بيئة روحانية تتزامن مع البيئة التعليمية، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال المسجد.

رابعًا: حاجة الأمة الإسلامية إلى المزيد من التآلف والتعارف ولا يحصل ذلك إلا من خلال الاجتماع المتكرر الحاصل من إقامة الصلوات الخمس في المساجد، فالمسجد كفيل بإيجاد تعارف أخوي إيماني.

خامسًا: القضاء على الفواحش والأخلاق السيئة ولا يتحقق ذلك إلا في المساجد، فإنها كفيلة بتزكية روادها التزكية الحسنة.

وأما أهداف هذه الدراسة فمن أهمها:

١- بيان الأسباب التي أدت إلى إلى انحسار دور المسجد في التربية والتعليم.

٢- بيان الآثار التربوية والتعليمية التي ترتبت على انحسار دور المسجد.

٣- بيان مكانة المسجد ودوره في التعليم والتربية.

هذا وقد قسمت هذه الدراسة إلى أربعة مباحث: الأول في فضائل المسجد ودوره التعليمي والتربوي، واندرج تحته مطلبان: الأول في الفضائل الشرعية المتعلقة بالمسجد، والثاني في مكانة المسجد ودوره في التعليم والتربية، والمبحث الثاني في أسباب انحسار دور المسجد في التعليم، وقد احتوى على مطلبين: الأول ظهور المدارس والثاني السلطة السياسية، والمبحث الثالث في الآثار التربوية الناتجة عن انحسار دور المسجد في التعليم وتضمن مطلبين: الأول في انحسار التعليم وجمود العلم، والثاني: في ظهور بعض الانحرافات الاجتماعية، والمبحث الرابع مسح الحركة التعليمية لأشهر الجوامع ومدارسها المجاورة في الديار المصرية في الفترة بين (٢٦٣هـ) و(٨١٨هـ).

وأما المنهج الذي اتبعته في هذه الدراسة فينحصر في الخطوات التالية:

أولاً: توفير النصوص المتعلقة بكل مبحث على حده.

ثانيًا: التحليل النقدي لبعض النصوص.

ثالثًا: المقارنة في بعض المواضع.

رابعًا: الاختصار لبعض المباحث المهمة.

خامسًا: استخلاص بعض النتائج.

المبحث الأول

فضائل المسجد ودوره التعليمي والتربوي

المطلب الأول: الفضائل الشرعية المتعلقة بالمسجد

للمسجد فضائل كثيرة، وهذه الفضائل منها ما ورد في شرف مكانه، وهذا الشرف يحصل بمجرد وقف الأرض للمسجد، فإن هذه الأرض على الفور تضاف وتنسب إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[١]، وتزداد شرفًا بكونها بعد الوقف تصبح أحب الأماكن إلى الله تعالى، قال ن: "أحب البلاد إلى الله مساجدها"[٢]، ومن الفضائل ما جاء في ثواب بناءها فمن ذلك قوله ن: "من بنى مسجدًا لله بنى الله له في الجنة مثله"[٣]، ومن فضائلها أيضًا ما صح في جزاء من سعى إليها للصلاة والتعلم، فمن ذلك قوله ن: "من غدا إلى المسجد أو راح أعدّ الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح"[٤].

قال النووي (ت: ٦٧٦هـ): "النزل[٥] ما يهيأ للضيف عند قدومه"[٦]، وأما فضل التعلم فيها فقد أشار إليه الحديث الآخر ولفظه: "ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده"[٧]، بل من

---

(١) سورة الجن: آية رقم ١٨.

(٢) رواه مسلم: صحيح مسلم حديث رقم ٦٧١.

(٣) رواه البخاري: صحيح البخاري حديث رقم ٤٥٠.

(٤) رواه مسلم: صحيح مسلم رقم ٦٦٩.

(٥) بضم النون والزاي.

(٦) النون: المنهاج شرح صحيح مسلم ١٧٠/٥

(٧) رواه مسلم: صحيح مسلم حديث رقم ٢٦٩٩.

فضائله أن الملازمين لها هم من السبعة الذين يظلهم الله في ظله، قال ن: "ورجل قلبه معلق في المساجد ..."[١]، ولفظة (معلق) يحتمل اشتقاقها من العلاقة وهي شدة الحب، ويجوز أنها مأخوذة من التعليق تشبيهًا بالشيء المعلق في المسجد كالقنديل، وحينئذ تكون الفضيلة لمن طالت ملازمته للمسجد[٢].

وقد جمع الله تعالى هذه الفضائل في هذه الآية ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَـئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[٣]، فإن عمارة المسجد تشمل العمارة المعروفة في البناء، وتشمل العمارة بالذكر، وقد أشار الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) إلى هذا الشمول في تفسيره فقال: "والعمارة تتناول رم ما استرم منها، وتنظيفها، وتنويرها بالمصابيح، وتعظيمها، واعتيادها للعبادة والذكر..."[٤].

ولعل المقصود من النصوص الشرعية التي وردت في فضائل المسجد المتنوعة: بناءه وتنظيفه وملازمته هو إيجاد مجتمع مصغر، يمارس فيه أفراد المسجد حياة المجتمع الإسلامي المثالي في فترات متكررة من اليوم والليلة، ومن ثم ينقلون هذه الصورة إلى خارج المسجد: في البيوت والأسواق وأماكن أخرى، فإن هذه الفضائل في الحقيقة إنما هي وسائل إلى مقاصد كبرى فيها صلاح الكون بصلاح الشعوب والمجتمعات.

---

(١) جزء من حديث طويل رواه البخاري: صحيح البخاري، حديث رقم ٦٨٠٦

(٢) انظر ابن حجر: فتح الباري ١٤٥/٢.

(٣) سورة التوبة: آية رقم ١٨.

(٤) الزمخشري: الكشاف ٢٥٤/٢.

المطلب الثاني

مكانة المسجد ودوره في التعليم والتربية

للمسجد في الإسلام مكانة عظيمة، وقدسية كبيرة في نفوس أتباعه، ويعود السر في ذلك إلى أن الله عز وجل نسب المساجد إليه، فنالت بذلك شرفًا عظيمًا. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[1]، ونسبها نبيه ن إليه أيضًا، وكان أول عمل قام به ن حين قدم إلى المدينة مهاجرًا هو بناء المسجد، ولمكانة المسجد كان اختيار المكان الذي يبني فيه وحيًا من الله تعالى، ولم يترك هذا الاختيار إلى اجتهاد أحد، كما أنه – عز وجل – اختص لنفسه اختيار البقعة التي يبني فيها المسجد الحرام ولم يجعله إلى اختيار إبراهيم عليه السلام.

وقد تفردت المساجد بآداب وأحكام تشير إلى مكانتها العظيمة مثل عدم جواز المكث فيه للجنب والحائض، وكراهة جلوس الداخل إليها قبل أداء ركعتين، وتحريم البصاق على جدرانها، وتنزيلها من الروائح الكريهة مثل الثوم، وتحريم نشدان الضالة فيها، والبيع كذلك، وكراهة حديث الدنيا فيها ورفع الأصوات، ومنع كل ما ينجس بقعتها، ووجوب تطهيره، وأن تكون البقعة التي يبنى عليها المسجد وقفًا لله تعالى يحرم بيعها والتصرف فيها.

وأما دور المسجد في حياة المسلمين فإنه المكان الأنسب للتعليم والتربية، فهو قادر على بناء مجتمع سليم، والداخلون إليه يخلعون كل ما يدعو إلى التفريق بينهم، فلا يشعرون بالفرق بين الأبيض والأسود، ولا بين الغني والفقير، ولا بين المتعلم وغير المتعلم، فتزول العنصرية التي هي أعظم أسباب الفرقة والحقد والبغضاء، وفي المسجد يتبادل المسلمون تحية الإسلام في اليوم الواحد خمس مرات، فتنمو المحبة في قلوبهم التي هي أعظم

---

(١) سورة الجن: آية رقم ١٨.

أسباب الاجتماع والتآلف، ومن خلال هذا الاجتماع المتكرر يفتش بعضهم بعضًا بالسؤال عن أحوالهم، فتسد حاجة الفقير، ويعاد المريض، ويعان الضعيف ويصلى على الميت.

وأما دور المسجد في التعليم، فإنه منذ الزمن الأول والمسجد هو المؤسسة الأولى، وقد بيت كذلك حتى زماننا هذا محلًا للتعليم، وكان التعليم له فضيلة خاصة في المساجد مأخوذًا من قوله ن: "ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وحفتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده"(١). قال النووي (ت: ٦٧٦هـ): "وفي هذا دليل على فضل الاجتماع على تلاوة القرآن في المسجد وهو مذهبنا ومذهب الجمهور"(٢)، ومأخوذًا من قوله ن حين خرج على أهل الصفة، فقال: "أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق، فيأتي منه بناقتين كوماوين(٣) في غير إثم ولا قطع رحم؟ فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك قال: أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل"(٤).

وقد ظل المسجد على امتداد تاريخ المسلمين مؤسسة تعليمية للصغار والكبار، وأول المؤسسات التعليمية التي تحقق الأهداف العلمية والتربوية، وكان الفقهاء والمحدثون والمفسرون من أفضل خريجيها، فكانت تجمع بين الصلاة والقراءة والذكر وتعليم والعلم والخطب.

---

(١) رواه مسلم: صحيح مسلم حديث رقم (٢٦٩٩).

(٢) انظر النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم ٢٢/١٧.

(٣) كوماوين تثنية كوماء وهي الناقة عظيمة السنام. انظر ابن الأثير: النهاية ٢١١/٤.

(٤) رواه مسلم: صحيح مسلم حديث رقم ٨٠٣.

المبحث الثاني

أسباب انحسار دور المسجد في التعليم

المطلب الأول: ظهور المدارس

كان ظهور المدارس على شكلين: مدارس أهلية ومدارس حكومية، وكان ظهور المدارس الأهلية أقدم، فمن هذه المدارس الأهلية المدرسة البيهقية بنيسابور، ومدرسة أخرى بنيت للأستاذ أبي إسحاق النيسابوري، ومدارس أخرى، وأما المدارس الحكومية فكان بداية ظهورها سنة (٤٥٧هـ)، وكانت أول مدارس حكومية هي المدارس النظامية في بغداد بناها نظام الملك السلجوقي سنة (٤٥٧هـ)، وتتميز المدارس الحكومية عن الأهلية أن الحكومية يتوقف اختيار وتعيين المدرسين فيها والطلبة على السلطة السياسية كما أنها تتميز بتكفل السلطة السياسية بالتمويل المادي والسكني لكل من المدرسين والطلبة [(١)].

ومن الأسباب التي دعت إلى ظهور هذه المدارس الحكومية ما تذكره المصادر التاريخية من أن السلطان ألب أرسلان "دخل مدينة نيسابور، فاجتاز على باب المسجد فرأى جمعًا من الفقهاء على باب ذلك المسجد في ثياب رثة، لا خدموا السلطان ولا دعوا له، فسأل السلطان نظام الملك عنهم فقال: هؤلاء طلبة العلم، وهم أشرف الناس، لاحظ لهم من الدنيا، ويشهد زيهم على فقرهم، فأحس بأن قلب السلطان لان لهم، فعند ذلك قال: لو أذن السلطان بنيت لهم موضعًا وأجريت لهم رزقًا ليشتغلوا بطلب العلم ودعاء دولة السلطان، فأذن له، فأمر نظام الملك ببناء المدارس في جميع مملكة

---

(١) انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان ١٢٩/٢. والقزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤١٢. والسيوطي، حسن المحاظرة، ٢٥٥/٢.

السلطان، وأن يصرف عشر مال السلطان الذي هو مختص بالوزير في بناء المدارس، وهو أول من سن هذه السنة الحسنة"[١].

هذه الرواية توضح بعض الأسباب في بناء المدارس النظامية، فمن تلك الأسباب إعانة طلاب العلم على الاشتغال بالعلم، ومنها حصول الدعاء للسلطان، وهذا السبب الأخير قد يكون من وراءه دوافع سياسية لأنه بدعاء الفقهاء للسلطان يرتفع ذكره ومنزلته عند العامة، وقد تكون دوافع اعتقادية بقبول دعاء هؤلاء الفقهاء الفقراء، وبالتالي يثبت سلطانه وملكه. ويظهر من هذه الرواية أيضًا مظهر من مظاهر لانحسار دور المسجد في التعليم من حيث أن هؤلاء الفقهاء – فقهاء نيسابورا اتخذوا المسجد مكانًا للتعلم والتعليم حينما رآهم السلطان ألب أرسلان على باب المسجد، وبالتالي كانت رغبة نظام الملك في بناء موضع لهولاء الفقهاء، محور تحول عظيم لانتقال العملية التعليمية والتعليمية من المسجد إلى المدارس بانتقال هؤلاء الفقهاء.

ومن الأسباب أيضًا التي ساعدت على ظهور المدارس وبالتالي انحسار دور المسجد هو ما ذكره بعض الكتاب من أن ".. تغير طريقة التعليم كان سببًا في إيجاد نوع جديد من المؤسسات العلمية، ذلك أنه لما انتشرت طريقة التدريس نشأت المدارس. ولعل من أكبر الاسباب في ذلك أن المساجد لم يكن يحسن تخصيصها للتدريس بما يتبعه من مناظرة وجدل قد يخرج بأصحابه أحيانًا عن الأدب الذي تجب مراعاته للمسجد"[٢]. وقد يكون من أسباب إقامتها ما تبلور من تصور تربوي جديد يجعل من المدرسة مؤسسة اجتماعية تقوم بعدة وظائف تخدم أهداف أصحابها، وعلى الرغم من انتشار المدارس الحكومية بشكل واسع في القرن الخامس الهجري وما بعده

---

(١) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤١٢.

(٢) آدم متز، نقلًا عن محمود قمبر، دراسات تراثية في التربية الإسلامية، ص٥١.

وتطورها السريع إلا أن المسجد رغم انحسار دوره في التعليم فقد ظل قاعدة مهمة للتربية والتعليم(١).

ومن الأسباب كذلك التي ساعدت على انحسار دور المسجد هو ما تعده المدارس الحكومية لطلبتها من مستويات تأهيلية تسمح لهم بالقدرة على ممارسة الوظائف العليا في الحكم، والإدارة، والقضاء، والفتوى، والحسبة، والتعليم، وغيرها، مما سبب في حرص كثير من طلاب العلم – جريًا وراء المال والجاه – على الالتحاق بتلك المدارس وترك الالتحاق بحلقات المساجد، أضف إلى ذلك الحالة المادية الضعيفة التي كان عليها كثير من طلاب العلم نتيجة الانقطاع للطلب وترك الاكتساب مما سبب لهم كثيرًا من العنت والتعب، مع قيام المدارس بتوفير الرعاية الاجتماعية من مأكل وملبس، وأرزاق بشكل منتظم ودائم كان سببًا عظيمًا في خروج كثير من طلاب العلم من المساجد – التي لا توجد فيها تلك الرعاية بشكل منتظم ودائم – والالتحاق بالمدارس(٢).

أما المساجد في عصرنا الحاضر فتكاد تخلو أكثرها من التعليم باستثناء المسجد الحرام، والمسجد النبوي، وبعض المساجد القليلة والسبب ليس وجود المدارس فحسب، بل وجود السلطة الحاكمة التي خلت من حب العلم وأهله، والتي تمنع المكث في المسجد إلا في أوقات الصلوات الخمس، وأما في غير تلك الأوقات فأغلب المساجد تغلق أبوابها، وهذا عامل كبير في انحسار دور المسجد، وسيأتي تفصيل ذلك في المبحث التالي، وأيضًا من

---

(١) علي سالم النباهين، نظام التربية الإسلامية في عصر دولة المماليك في مصر، ص٢٣٨.

(٢) القزويني آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤١٢. محمود قمبر، دراسات دراثية في التربية الإسلامية، ص٥٧، ٦٣.

عوامل انحسار المسجد في زماننا ما تمنحه المدارس العصرية من شهادات رسمية لا يصح مزاولة أيًا من الوظائف الحكومية إلا بها، فاضطر كثير من المسلمين إلى إرسال أبنائهم إلى المدارس والتي شغلت أغلب أوقاتهم عن طلب العلم في المساجد، وما تقوم به أيضًا السلطة الحاكمة بتطبيق أسلوب التعليم الإلزامي في تلك المدارس له أثر واضح في انحسار دور المسجد.

المطلب الثاني: السلطة السياسية

من المعلوم أن المساجد لها حرمتها وقداستها في قلوب عامة المسلمين، وكان علماء الشريعة لهم التقدير والإجلال في قلوب العامة، وكان العلماء وطلاب العلم في داخل المساجد لهم حرية مطلقة في اختيار المحتويات العلمية، وأساليب وطرق التدريس المناسبة بما يراه كل عالم أصلح حسب رأيه، وكان السلاطين والوزراء يحرصون بشتى الأساليب على تضييق الفجوة بينهم وبين هؤلاء العلماء، ليكسبوا بذلك تأييد العامة، لمكانة العلماء في قلوبهم، ولما كانت طبيعة المسجد لا تمكن السلاطين من تحقيق تلك الأهداف بحرية كافية، فقد سعى كثير منهم في بناء المدارس، وإجراء الأرزاق الضخمة، والامتيازات المغرية، مما جذب أنظار كثير من العلماء، وبالتالي استطاعت السلطة السياسية جذب عددًا كبيرًا من العلماء من حلقات المساجد إلى المدارس الحكومية للقيام بوظيفة التدريس، ثم صاروا تحت ضغط تلك الامتيازات المادية لا يجدون بدًا من طاعتهم والدعاء لهم، وهذا يتضح جليًا من كلام نظام الملك حينما بين السبب في بناء المدارس بقوله "... ليشتغلوا بطلب العلم، ودعاء دولة السلطان..."[١].

---

(١) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤١٢.

ومما ساعد على ظهور المدارس وانتشارها، وتطورها السريع، أن الذين أقبلوا على بناء المدارس من السلاطين والوزراء كانوا من محبي العلم وأهله مما دفع بكثير من العلماء إلى الدخول في مدارسهم، وحتى العلماء المتورعين عن السلطان تسامح بعضهم في التدريس في تلك المدارس أمثال الغزالي، فنظام الملك يقول عنه أخوه "وكان أخي نظام الملك يملي الحديث بالري، فلما فرغ قال: إني لست أهلًا لما أتولاه من الإملاء، لكني أريد أن أربط نفسي على قطار نقلة حديث رسول الله ن"(١)، ومحمود بن زنكي هذا "جمع الله له من العقل المتين، والرأي الثاقب الرصين، والاقتداء بسيرة السلف الماضين، والتشبه بالعلماء الصالحين، والاقتداء بسيرة من سلف منهم في حسن سمتهم، والاتباع لهم ..."(٢).

وكذلك كان صلاح الدين الأيوبي، وقد بنى عددًا من المدارس "كان يؤثر سماع الأحاديث بالأسانيد، ويكلم العلماء عنده في العلم الشرعي، وكان لمداومة الكلام مع الفقهاء، ومشاركة القضاة في القضاء أعلم منهم بالأحكام الشرعية، والأسباب المرضية، والأدلة المرعية"(٣)، وبالمثل كان الملك الكامل الذي أنشأ المدرسة الكاملية بالقاهرة، سنة ٦٢٢هـ، كان هذا الملك "يحب العلم وأهله، ويؤثر في مجالستهم، كما شغف بسماع الحديث النبوي، وحدث، وكان يناظر العلماء ويمتحنهم بمسائل غريبة من فقه، ونحو، فمن أجاب عنها حظي عنده... وكان يبيت عنده بقلعة الجبل عدة من أهل العلم على أسرة بجانب سريره ليسامروه في العلم...، ويخرج من زكوات الأموال معاليم للفقهاء والصلحاء..."(٤)،

---

(١) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ٣١٨/٤.

(٢) أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ٢٢٩/١.

(٣) أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ٢١٧/٢-٢١٩.

(٤) المقريزي، الخطط المقريزية، ٣٦٣/٢

ومجمل القول أن السلاطين والوزراء هم الذين ساعدوا على ظهور المدارس، والمدارس ساعدت على انحسار دور المسجد في التعليم، وبالتالي يمكن القول أن السلاطين والوزراء هم حقيقة الذين ساعدوا في انحسار التعليم في المساجد.

وقد تسابق السلاطين إلى بناء تلك المدارس، فقد ذكر ناصر خسرو أنه أثناء رحلته إلى نيسابور في شوال سنة ٤٣٧هـ، رأى العمال يشيدون مدرسة بقرب سوق السراجين خاصة بطغرل بك السلطان السلجوقي، وهو الذي أمر ببنائها، كما كانت له مدرسة أخرى بناها في همدان[١]، وكذا المدرسة السعيدية بناها الأمير نصر بن سكتبكين[٢]، والمدارس النظامية بناها نظام الملك.

أما السلطة السياسية المعاصرة فلم تكن على نمط أولئك السلاطين السابقين في القرن الرابع والخامس من حب العلم وأهله، بل "إن القادة وولاة الحكم في البلاد المسلمة، كان الكثير منهم إنتاج نظام التعليم الغربي ووليد حضارته"[٣]، ولذلك أهملوا المساجد، بل أغلقوها إلا في أوقات الصلوات، وجعلوا القائمين على أمر المسجد أقل الناس علمًا وشأنًا وممن يميلون إلى الخرافات والأباطيل، لإيجاد دين زائف، ولإحداث فتنة فكرية، وهذا هو الوضع القائم الآن، وبالتالي فالسلطة السياسية في هذا الزمن لها النصيب الأوفر في انحسار دور المسجد في التعليم المعاصر.

---

(١) محمود قمبر، دراسات تراثية في التربية الإسلامية، ص٢٢.

(٢) السيوطي، حسن المحاظرة، ٢/٢٥٥.

(٣) الندوي، نحو التربية الإسلامية الحرة، ص٣٦.

المبحث الثالث

الآثار التربوية الناتجة عن انحسار دور المسجد في التعليم

المطلب الأول: انحسار التعليم وجمود العلم

لما كان التعليم في المسجد الغاية منه إظهار سنه، أو إخماد بدعه، أو تعليم حكم من أحكام الله تعالى، والمسجد كان مفتوحًا لكل طبقات الناس، يدخله العالم، والجاهل، والرفيع، والوضيع، صار ذلك من أكبر العوامل في انتشار العلم والتعليم بين جميع طبقات المجتمع، فلما انتقل التعليم إلى المدارس ولم يكن يدخلها في الغالب فئة مخصوصة لها رغبة شديدة في التعليم انحسر التعليم[١]. أضف إلى ذلك شروط الالتحاق التي يشترطها بعض الواقفين في المدارس قللت من نسبة المقبولين فيها، كما فعلت المدرسة الباذرائية في دمشق فقد اشترط صاحبها الشيخ نجم الدين الباذرائي ألا يدخل مدرسته امرأة، ولا أمرد، ولا متزوج، ولا ملتحق بمدرسة أخرى[٢]، وغيرها كثير.

كذلك لم يكن الوضع التعليمي في المسجد يتصف بأي نوع من الإغراءات المادية، فالمسجد لا يعد مستويات تأهيلية لوظائف حكومية، ولا يمنح شهادات علمية لغرض المرتبات الضخمة كما هو الحال في المدارس قديمًا وحديثًا، بل كان الوضع التعليمي في المسجد نزيهًا من كل ذلك، ولم يكن يقبل ذلك الوضع إلا من قصد العلم لشرفه والكمال به، ولذا خرج المسجد كثيرًا من الأئمة والمجتهدين من أرباب الهمم العالية والأنفس الزكية في القرون السابقة لظهور المدارس – وبالأخص – الفترة الواقعة فيما بين

---

(١) انظر: علي سالم النباهين، نظام التربية الإسلامية في عصر دولة المماليك، ص٢٣٨.

(٢) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ١٩٦/١٣.

القرن الثاني الهجري ونهاية القرن الثالث الهجري على وجه التقريب[١]، ثم صار العلم بعد ظهور المدارس، وإجراء الأرزاق، لغير غايته، بل للمال والجاه، فكان ذلك سببًا لكسل الهمم وفتورها، وبالتالي جمود العلم، والقناعة باليسير منه، وترديد عبارات السلف تقليدًا.

ويدل على ما سبق قول ابن الجوزي الذي عاش تلك الأزمة العلمية حيث يقول "ومن تلبيس إبليس على الفقهاء أن أحدهم يأكل من وقف المدرسة المبنية على المتشاغلين بالعلم، فيمكث فيها سنين، ولا يتشاغل، ويقنع بما عرف، أو ينتهي في العلم، فلا يبقى له في الوقت حظ"[٢]. ويدل على ما سبق أيضًا ما ذكره حاجي خليفة بقوله: "ولقد كوشف علماء ما وراء النهر بهذا الأمر، ونطقوا به لما بلغهم بناء المدارس ببغداد، وأقاموا مآتم العلم، وقالوا كان يشتغل به أرباب الهمم العالية والأنفس الزكية... فيأتون علماء ينتفع بهم وبعلمهم، وإن صار عليه أجره تداني إليه الأخساء وأرباب الكسل، فيكون سببًا لارتفاعه"[٣].

ومن أمثلة الجمود العلمي ما حدث بعد حوالي قرنين من إنشاء المدارس النظامية حينما قام وزير الخليفة المستعصم بجمع علماء المدرسة المستنصرية عام ٦٤٥هـ، وطلب منهم ألا يذكروا تصانيفهم وألا يلزموا الفقهاء بحفظ شيء منها، ثم ألزمهم بتدريس كتب السابقين[٤]. وكان هذا غاية جمود المحتوى التربوي الذي سبب بالتالي الجمود العلمي، واستمر ذلك الجمود حتى آل الأمر في الأزهر إلى قرون متأخرة إلى الجمود في

---

(١) انظر: عمر الشيباني، تطور التعليم العالي في ظل الحضارة الإسلامية، ص٨١.

(٢) ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ص١٢٢.

(٣) حاجي خليفة، كشف الظنون، ٢٢/١.

(٤) محمود قمبر، دراسات تراثية في التربية الإسلامية، ص٥٩.

مفهوم التعليم متمثلًا بشرح كتب الأقدمين بالحواشي وشرح هذه الحواشي بما يسمى بالتقرير[١]، ولقد صدق الشيخ محمد عبده حين ذم هذا التعليم وقال "إنهم يتعلمون كتبًا لا علمًا"[٢].

ومع كثرة الملوك والمحسنين الذين أنشأوا المدارس، ورصدوا لها الأوقاف، إلا أنه كان لهم تأثيرًا واضحًا في انحسار التعليم وجمود العلم حينما اشترطوا شروطًا ملزمة تتعلق بالمناهج ومفاهيم التعليم، ومعظم هذه الشروط لا تستند إلى أسس علمية، وإنما أملتها الانتماءات المذهبية وعواطف الولاء كما هو في المدارس النظامية الخاصة بالمذهب الشافعي. حيث يقول ابن الجوزي "بأن النظامية وقف على أصحاب الشافعي أصلًا وفرعًا"[٣]. وقد شرط مثل ذلك في "المدارس الذي يكون بها، والواعظ الذي يعظ بها، ومتولي الكتب"[٤]. كل ذلك سبب في انحسار التعليم وجموده في حين أن المسجد لم يكن بطبيعته يخضع لمثل تلك الشروط، ولذلك تمتع العلماء الذين زاولوا رسالة التعليم بالمساجد بالحرية الفكرية، أما علماء المدارس فكانوا يقفون مع شروط الملوك والواقفين، والوقوف معها كان وقوفًا في وجه التجديد الفكري والعلمي.

استمر الجمود العلمي حتى بداية العصور الحديثة، حيث وجدت المؤسسات التعليمية الإسلامية – وعلى رأسها المسجد – نفسها عاجزة عن استيعاب حاجات المجتمع الحديث في النمو والتقدم، ومواكبة التطور في العلم والمعرفة، وذلك نجد المساجد تكاد تخلو من التعليم ومن الأئمة ذوي الكفاءة

---

(١) ماجد الكيلاني، النظرية التربوية الإسلامية، ٢٣٨.

(٢) ماجد الكيلاني، النظرية التربوية الإسلامية، ٢٣٨.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ٦٦/٨.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ٦٦/٨.

العلمية، بل على النقيض من ذلك، فأكثرهم من المقلدين والجهال، بل حتى المدارس الإسلامية فقد غلب على مناهجها وأساليبها موروثات العصور الجامدة وتقليد القديم، دون مراعاة لاختلاف الأزمان وظروف التطور وحاجات الحاضر، وأما المدارس الحديثة فتختلف عن المدارس الإسلامية في المفاهيم التربوية ومناهج التفكير، وغلب عليها أيضًا طابع النقل وتقليد الآخرين دون مراعاة لاختلاف البيئات(١).

المطلب الثاني: ظهور بعض الانحرافات الاجتماعية

إن المسجد بآدابه وأحكامه وطبيعته تجعل له خاصية روحانية تساعد على تغذية الروح، وتزكية النفس، وتطهير القلب، وليس ذلك لمكان آخر سوى المسجد، ولذا اهتم رسول الله ن ببنائه بعد وصوله إلى المدينة مهاجرًا من مكة، وشرع له آدابًا وأحكامًا، ولم تكن مهمة المسجد مهمة سهلة، بل كانت مهمة صعبة، فلم تكن مجرد تعليم العلوم، بل كانت مهمته الحقيقية هي إنشاء جيل جديد إنشاء فكريًا وخلقيًا ممتازًا، وقد تحققت مهمة المسجد في القرون الثلاثة الأولى وضربت تلك القرون أروع الأمثلة في مكارم الأخلاق والترابط وانتشار المحبة، واندثرت جميع الأمراض الاجتماعية. قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا...﴾(٢).

هذه الأجيال تلقت من المسجد كل شيء، ولم تعرف دار حضانة ولا روضة ولا مدرسة، لم تعرف إلا المسجد، وفيه تربت، وبعد ظهور المدارس وانحسار دور المسجد بدأت أعراض الأمراض الاجتماعية تظهر شيئًا فشيئًا،

---

(١) انظر: الندوي، نحو التربية الإسلامية الحرة، ص٧٣-٧٤.
ماجد الكيلاني، النظرية التربوية الإسلامية، ص٢٦٧-٢٦٨.

(٢) سورة الفتح: آية رقم ٢٩.

فخذ على سبيل المثال ما رافق ظهور المدارس من المنازعة والتحاسد بين بعض العلماء في شغل وظائف التدريس، ومن شواهده منازعة كمال الدين بن النجار لجمال الدين بن عبد الكافي الذي أخذ منه الدولعية، ومنازعة شمس الدين الإربلي لجمال الدين بن عبد الكافي أيضًا وأخذ منه الغزالية في دمشق[١]، ومن شواهده لما توجه والد الزين العراقي لقضاء المدينة وخطابتها قام ابنه بجميع وظائفه، ولكن ابن الملقن انتزع منه مشيخة دار الحديث، بحجة أنه شيخة وأولى منه... وتحرك الزين العراقي لمعارضته ثم سكنه بعض مشايخه فسكن[٢].

وفي عصرنا الحديث لم يقم المسجد بتلك المهمة ذلك أنها مهمة تتطلب منهاجًا تربويًا كاملًا، وهذا يحتاج إلى أئمة وعلماء يتصفون بالنبوغ والابتكار لبلورة هذا المنهاج ليتلاءم مع أبناء العصر، وبالتالي نستطيع القضاء على مظاهر الانحلال الخلقي والاجتماعي الذي من أسبابه عدم وجود ذلك المنهاج المتكامل لا في المسجد، ولا في المعاهد والجامعات الحديثة، أما المسجد فلا يختار له من الأئمة – من قبل الحكومة – إلا أقل الناس علمًا وشأنًا وبالتالي فاقد الشيء لا يعطيه بل إن كثيرًا من الأئمة شجعوا على وجود مناهج تربوية وهدامة محتواها البدع والخرافات مما أبعدهم عن المنهج التربوي الصافي وهو القرآن والسنة الصحيحة.

أما بالنسبة للمعاهد والجامعات الحديثة فيقول الندوي "وقد اتفقت كلمة العقلاء وأهل التجربة على أن خسارة الأمة والبلاء في هذا النظام التعليمي، وفي هذه المعاهد، ودور التعليم الحديث كانت أكبر من ربحها"[٣]، وفي

---

(١) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/١٤٧-١٤٨.

(٢) انظر: الشوكاني، البدر الطالع، ١/٧٣.

(٣) الندوي، نحو التربية الإسلامية الحرة، ص٩.

موضع آخر يقول: "... فقد استنفد دعاة التعليم العصري الحديث جهودهم وأموال المسلمين في إنشاء هذه المدارس... فكان غاية ذلك بعد مدة قليلة فوضى فكرية هائلة، واضطراب وتناقض في الأفكار والآراء، وشك وارتياب في الدين، واستخفاف بفرائضه وواجباته، وثورة على الآداب والأخلاق، وضعف وانحطاط في الأخلاق والسيرة...[١].

إن كثيرًا من الانحرافات الاجتماعية ساعد على انتشارها انحسار دور المسجد في التعليم، وزيادة في التوضيح أعني أن الأمراض الاجتماعية من أسبابها وأهمها – فيما يبدو لي – سوء الفهم لكثير من المفاهيم التربوية الإسلامية، وعدم وضوحها تمامًا، ولنأخذ على سبيل المثال مفهوم التصوف وهو مفهوم تربوي يعني الزهد والورع وكثرة العبادة ولما سيء فهمه رأينا فسادًا اجتماعيًا كبيرًا في كثير من طرق الصوفية وهنا تبرز مهمة المسجد في توضيح تلك المفاهيم أو تصحيحها، وانحسار دور المسجد عن تلك المهمة ساعد على انتشار تلك الأمراض الاجتماعية ليس في خارج المسجد بل في داخله أحيانًا والله أعلم.

ومن الانحرافات الاجتماعية التي ظهرت نتيجة انحسار المسجد عن القيام بدوره هو زوال هيبة العلماء من قلوب العامة والملوك والتاريخ يشهد بأن لهؤلاء العلماء في القرون الأولى هيبة في قلوب العامة والملوك، وأسباب زوال هذه الهيبة هو عدم قيام العلماء بوظيفة المسجد من تعليم، وإرشاد، وأمر بمعروف، ونهى عن منكر، وزوال هيبة العلماء له آثاره التربوية السيئة مثل الاستخفاف بالشرع وفرائضه، والاستهزاء بأهل العلم، ولعلاج هذه الأمراض الخطيرة يكون بقيام العلماء بمقتضيات العلم والبدء من بيوت الله بالتعليم والصبر على ذلك.

---

(١) الندوي، نحو التربية الإسلامية الحرة، ص٩.

المبحث الرابع

مسح الحركة التعليمية لأشهر الجوامع والمدارس المجاورة لها في الديار المصرية في الفترة بين (٢٦٣هـ) و(٨١٨هـ)

لكون جوهر هذه الدراسة هو البحث في أسباب انحسار دور المسجد في التعليم والتربية وبيان أن أهم أسبابها ظهور المدارس؛ لذلك فإني قمت برصد الأنشطة التعليمية داخل أشهر الجوامع وداخل المدارس المجاورة لها في الديار المصرية، من تاريخ تأسيس تلك الجوامع والمدارس إلى الفترة التي عاصرها المقريزي (٧٦٤هـ-٨٤٥هـ).

وقد لاحظت أن الجوامع التي تحدث عنها المقريزي على مدى تاريخها الطويل وهي قرابة تسعين جامعًا تكاد تخلو من الأنشطة التعليمية، فضلًا عن المساجد وهي تزيد على خمسين مسجدًا، كما لاحظت أن أغلب الجوامع والمساجد أصبحت تمارس فيها الأنشطة الروحية من شيوخ التصوف أو المنقطعين والمجاورين لها للعبادة.

وقد تناولت بالدراسة المسحية أشهر الجوامع بالديار المصرية، واقتصرت على ثلاثة وهي: جامع أحمد بن طولون (٢٦٣هـ) والمدارس المجاورة له، والجامع الأزهر (٣٥٩هـ) والمدارس المجاورة له، وجامع الحاكم (٣٨٠هـ) والمدارس المجاورة له.

<u>جامع أحمد بن طولون (٢٦٣هـ):</u>

- موقع الجامع: على جبل يشكر، ويشكر اسم قبيلة عربية.
- المؤسس: أحمد بن طولون (ت: ٢٧٠هـ)، تولى سلطنة مصر في سنة أربع وخمسين بعد المائتين[١].
- تأريخ التأسيس: في سنة (٢٦٣هـ)[١].

---

(١) انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٩٥/١٢.

- الأنشطة التعليمية:

لقد مر هذا الجامع من تاريخ بناءه إلى زمن المقريزي (٧٦٦هـ-٨٤٥هـ) بثلاث فترات: فترة التأسيس سنة (٢٦٣هـ)، ثم فترة التجديد الأولى سنة (٦٩٦هـ)، ثم فترة التجديد الثانية سنة (٧٦٧هـ).

أولًا: فترة التأسيس (٢٦٣هـ):

تذكر المصادر التاريخية أن أحمد بن طولون بعد أن أتم بناء الجامع في سنة (٢٦٣هـ) أمر القراء والفقهاء بنقل أنشطتهم التعليمية إلى هذا الجامع[٢]، وكان من أعلام الفقهاء في تلك الفترة الربيع بن سليمان (١٧٤-٢٧٠هـ) الإمام المحدث الفقيه صاحب الإمام الشافعي[٣]، وكان يحضر حلقات الفقه التي يعقدها الربيع بن سليمان أبناء أحمد بن طولون بأمر من أبيهم. قال المقريزي: "وكان أحمد بن طولون يلازم أولاده صلاة الجمعة – في هذا الجامع – ثم يخرجون بعد الصلاة إلى مجلس الربيع ابن سليمان، ليكتبوا العلم، مع كل واحد منهم وراق وعدة غلمان"[٤].

ثانيًا: فترة التجديد الأولى (٦٩٦هـ):

وكان المجدد له هو الملك المنصور حسام الدين لاجين بن عبد الله حادي عشر سلاطين الدولة المملوكية[٥]، وقد رتب لاجين في هذا الجامع الأنشطة التالية[٦]:

---

(١) انظر: مصدر سابق، ٩٥/١٢.

(٢) انظر: المقريزي: الخطط المقريزية، ٣٧/٤.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٥٩٠/١٢.

(٤) المقريزي: الخطط المقريزية، ٣٧/٤.

(٥) انظر: المقريزي: الخطط المقريزية، ٤١/٤.

(٦) انظر مصدر سابق، ٤١/٤.

١- دروس في تفسير القرآن الكريم.

٢- تدريس الحديث النبوي.

٣- تدريس الفقه على المذاهب الأربعة.

٤- تدريس الطب.

ثالثًا: فترة التجديد الثانية (٧٦٧هـ):

وكان المجدد له في هذه الفترة الأمير يلبغا العمري الخاصكي (ت: ٧٦٨هـ) [١]، وقد رتب في هذا الجامع تدريس المذهب الحنفي، وعين له سبعة من الفقهاء[٢].

مدارس بجوار جامع ابن طولون المدرسة الصرغتمشية (٧٥٦هـ)

- موقع المدرسة: بجوار جامع أحمد بن طولون قال المقريزي: "وقد جاءت من أبدع المباني وأجلها وأحسنها قالبًا وأبهجها منظرًا"[٣].

- المؤسس: الأمير سيف الدين صرغتمش الناصري في سنة (٧٥٦هـ).

رتب الأمير صرغتمش فيه من الأنشطة التعليمية ما يلي:

١- تدريس الفقه الحنفي.

٢- تدريس الحديث النبوي.

٣- إجراء رواتب مالية[٤].

الجامع الأزهر (٣٥٩هـ)

- المؤسس: جوهر الكاتب الصقلي، أحد قادة الدولة الفاطمية بأمر من الخليفة الفاطمي المعز لدين الله

---

(١) انظر ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ١١/٣٥-٤٠.

(٢) انظر المقريزي: الخطط المقريزية، ٤/٤٢.

(٣) المقريزي: الخطط المقريزية، ٤/٢٥٦.

(٤) انظر مصدر سابق، ٤/٢٥٦.

- تأريخ التأسيس: في سنة (٣٥٩هـ).
- الأنشطة التعليمية:

أشارت النصوص التاريخية إلى الأنشطة التعليمية في فترة التأسيس (٣٥٩هـ)، وفي فترة التجديد في زمن الملك الظاهر بيبرس (٦٥٩-٦٧٦هـ)، وفي فترة التجديد في زمن الملك حسن بن محمد القلاوون (٧٢٥هـ)، وفي الفترة التي عاصرها المقريزي وعلى وجه التحديد سنة (٨١٨هـ)، ولذلك سأكتفي بالإشارة إلى الأنشطة التعليمية في الفترات السابقة وذلك على النحو التالي:

أولًا: فترة التأسيس (٣٥٩هـ):

١- تدريس الفقه الشيعي الإسماعيلي فقد ذكر المقريزي أن أول ما درس بالأزهر الفقه الفاطمي على مذهب الشيعة، ففي سنة (٣٦٥هـ) جلس علي بن النعمان القاضي بجامع الأزهر وأملى مختصر أبيه في الفقه عن أهل البيت(١).

٢- عقد حلقات فقهية بعد صلاة الجمعة إلى العصر(٢).

٣- تدريس العلوم الرياضية والفلكية والطبيعية والجغرافية والطب والحساب والمنطق، رجح ذلك الدكتور علي عبد الواحد مستدلًا بإنشاء الفاطميين لدار العلم والتي كان من موادها الأساسية هذه العلوم(٣).

٤- رواتب مالية للفقهاء، فقد ذكر المقريزي أنه في سنة (٣٧٨هـ): "سأل الوزير أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس الخليفة العزيز بالله في

---

(١) انظر المقريزي: الخطط المقريزية، ١٩٢/٤. ود. علي عبد الواحد: لمحة في تاريخ الأزهر، ص٢٠.

(٢) انظر المقريزي: الخطط المقريزية، ٤٩/٤.

(٣) انظر د. علي عبد الواحد: لمحة في تاريخ الأزهر، ص٢٠.

صلة رزق جماعة من الفقهاء فأطلق لهم ما يكفي ... وأمر لهم بشـــراء دار وبنائها فبنيت بجانب الجامع الأزهر[١].

ثانيًا: فترة التجديد زمن الملك الظاهر بيبرس:

- اسم المجدد: الملك الظاهر بيبرس.
- تأريخ التجديد: في عهد الملك الظاهر بيبرس (٦٥٩-٦٧٦هـــ).
- الأنشطة التعليمية[٢]:

١- تعيين مجموعة من الفقهاء لتدريس الفقه على المذهب الشافعي.

٢- تعيين قراء سبعة لقراءة القرآن.

٣- تدريس الحديث النبوي والرقائق.

ثالثًا: فترة التجديد زمن الملك حسن بن محمد القلاوون:

- اسم المجدد: الملك حسن بن محمد القلاوون
- تأريخ التجديد: سنة (٧٢٥هـــ)
- الأنشطة التعليمية[٣]:

١- مكتب لتعليم الأيتام القرآن.

٢- تدريس الفقه الحنفي.

٣- رواتب مالية للمدرسين والطلبة والمجاورين من الفقراء.

رابعًا: فترة المقريزي (٧٦٤هـــ-٨٤٥هـــ)

يصف المقريزي الأنشطة التعليمية داخل هذا الجامع في سنة (٨١٨هـــ) أنه بلغ عدد الملازمين (٧٥٠) من عجم وزيالعة ومغاربة ومن ريف مصر ثـــم قال: "فلا يزال الجامع عامرًا بتلاوة القرآن، ودراسته، وتلقينه، والاشـــتغال

---

(١) المقريزي: الخطط المقريزية، ٤٩/٤.

(٢) انظر المقريزي: الخطط المقريزية، ٥٣/٤.

(٣) انظر المقريزي: الخطط المقريزية، ٥٣/٤.

بأنواع العلوم: الفقه، والحديث، والتفسير، والنحو، ومجالس الوعظ، وحلق الذكر، فيجد الإنسان إذا دخل هذا الجامع من الأنس بالله والارتياح وترويح النفس ما لا يجده في غيره"[١].

مدارس بجوار الأزهر:

(١) المدرسة الأقبغاوية:

- موقع المدرسة: بجوار الجامع الأزهر. قال المقريزي: "وهذه المدرسة بجوار الجامع الأزهر على يسرة من يدخل إليه من بابه الكبير البحري"[٢].

- المؤسس: الأمير علاء الدين أقبغا عبد الواحد أستادارا[٣] الملك الناصر محمد بن قلاوون[٤].

- الأنشطة التعليمية:

١- تقرير تدريس الفقه الشافعي.

٢- تقرير تدريس الفقه الحنفي.

٣- تعيين مجموعة من القراء.

٤- تقرير وقف عليها من مجموعة من الحوانيت[٥].

(٢) المدرسة الطيبرسية:

- موقع المدرسة: بجوار الجامع الأزهر[٦].

---

(١) المقريزي: الخطط المقريزية ، ٤/٥٤-٥٥.

(٢) المقريزي: الخطط المقريزية، ٤/٢٢٤.

(٣) لقب يطلق على متولي قبض المال السلطاني. انظر المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية، د.حسان حلاق، ص١٧.

(٤) انظر: المقريزي: الخطط المقريزية، ٤/٢٢٤.

(٥) انظر: المقريزي: الخطط المقريزية، ٤/٢٢٥.

(٦) انظر مصدر سابق، ٤/٢٢٣.

- المؤسس: الأمير علاء الدين طيبرسي.
- تاريخ التأسيس: في سنة (٧٠٩هـ).
- الأنشطة التعليمية: تقرير درس في الفقه الشافعي[١].

جامع الحاكم (٣٨٠هـ):

- موقع الجامع: خارج باب الفتوح أحد أبواب القاهرة.
- المؤسس: العزيز بالله نزار بن عبد المعز لدين الله الفاطمي لكنه توفي قبل إتمامه، فأتمه ابنه الحاكم بأمر الله وسمي الجامع باسمه.
- تاريخ التأسيس: في سنة (٣٨٠هـ).
- الأنشطة التعليمية: لم يذكر المقريزي الأنشطة التعليمية في هذا الجامع بعد تأسيسه على وجه التفصيل، وإنما ذكرها إجمالًا، فقد اشار إلى أن الفقهاء الذين كانوا يؤدون دروسًا في الجامع الأزهر تحلقوا في هذا الجامع فقال: "وبدئ البناء فيه وتحلق فيه الفقهاء الذين يتحلقون في جامع القاهرة يعني الجامع الأزهر..."[٢].

وبعد الزلزال الذي وقع لمصر سنة (٧٠٢هـ) تهدم كثير من الأبنية وكان مما تهدم هذا الجامع تجدد بناؤه في سنة (٧٠٣هـ)، والمجدد هو الأمير ركن الدولة بيبرس، وكانت الأنشطة التعليمية التي قررها على النحو التالي:

١- تدريس المذاهب الفقهية الأربعة.
٢- تدريس القراءات.
٣- تدريس النحو النبوي.
٤- تدريس النحو[٣].

---

(١) انظر مصدر سابق، ٢٢٣/٤.
(٢) المقريزي: الخطط المقريزية، ٥٥/٤.
(٣) انظر مصدر سابق، ٥٦/٤.

مدارس بجوار جامع الحاكم:

(١) المدرسة الصيرمية (قبل ٦٣٦هـ):

- **موقع المدرسة: بالقرب من جامع الحاكم. قال المقريزي: "هذه المدرسة من داخل باب الجملون الصغير بالقرب من رأس سويقة[١] أمير الجيوش فيما بينهما وبين الجامع الحكمي بجوار الزيادة..."[٢].**

- **المؤسس: الأمير جمال الدين شويخ ابن صيرم، أحد أجداد الملك الكامل محمد بن أبي بكر، ولم يذكر المقريزي تاريخ تأسيسها، وقد ذكر أن مؤسسها توفي في سنة (٦٣٦هـ) فتكون قبل هذا التاريخ[٣].**

- **الأنشطة التعليمية: لم يذكر المقريزي لها أنشطة تعليمية، لكن لا يعني هذا أنها مدرسة بدون أنشطة، لأن عدم ذكر الشيء لا يلزم منه عدم وجوده، ويغلب على الظن أن الأنشطة فيها هي الأنشطة التي تكون في غالب المدارس في تلك الفترة، وهي لا تخرج عن العلوم الإسلامية وبالخصوص تدريس الفقه إما على مذهب واحد أو أكثر وتدريس علوم القرآن والحديث النبوي.**

(٢) المدرسة البقرية (ما بين ٧٤٨هـ-٧٦٢هـ)[٤]:

- **موقع المدرسة: بالقرب من جامع الحاكم بأمر الله الفاطمي. قال المقريزي: "هذه المدرسة في الزقاق الذي تجاه باب الجامع الحاكمي المجاور للمنبر"[٥].**

---

(١) تصغير سوق.

(٢) المقريزي: الخطط المقريزية، ٢١٦/٤.

(٣) انظر مصدر سابق، ٢١٦/٤.

(٤) انظر ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ١٨٧/١٠.

(٥) المقريزي: الخطط المقريزية، ٢٣٦/٤.

- المؤسس: الرئيس شمس الدين شاكر ابن غزيل المعروف بابن البقري، ولم يذكر المقريزي تاريخ تأسيسها لكنه ذكر أن ابن البقري كان يعمل ناظرًا للذخيرة في أيام الملك الحسن بن محمد بن قلاوو، فيكون تاريخ تأسيسها ما بين سنة (٧٤٨هـ) وسنة (٧٦٢هـ) وهي المدة التي تولى فيها الحسن بن محمد بن قلاوون سلطنة مصر، فإنه تولى السلطنة سنة (٧٤٨هـ) ثم خلع سنة (٧٥١هـ) ثم تولاها مرة ثانية سنة (٧٥٥هـ) إلى أن مثل سنة (٧٦٢هـ)[١].

- الأنشطة التعليمية[٢]: تقرير درس للفقهاء الشافعية، وتولى تدريسه ابن الملقن الشافعي (ت ٨٠٤هـ)

(١) انظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ١٨٧/١٠.

(٢) انظر: المقريزي: الخطط المقريزية، ٢٣٦/٤.

الخاتمـــة

أشرت في بداية هذه الدراسة إلى بعض الأسباب التي أدت إلى انحســار دور المسجد في التعليم، وإلى بعض الآثار التربوية الناتجة عن انحساره، ففــي البداية تطرقت لأهم هذه الأسباب – في نظري – وهــو ظهــور المــدارس بشكليها: الأهلية والحكومية، وأكدت على تأثير المدارس الحكوميــة، وذلــك لوضوح أثرها في انحسار دور المسجد.

وكان من الأسباب أيضًا السلطة السياسية، وسيادتها على مناهج التعليم، ثم تطرقت إلى الآثار التربوية الناتجة عن انحسار دور المسجد، ومن أهمها – في نظري – انحسار التعليم في جميع مستويات المجتمع، وجمود نسبي في الحركة العلمية، بخروج العلماء من المساجد بحثًــا وراء المــادة، وتقييــد الدروس العلمية بالالتزام بشروط الوقف في المدارس، وهي شروط بعضــها لا يقوم على أسس علمية، بل كانت خلاف ذلك، ولذا كانت عائقًا فــي وجــه التجديد العلمي، وحرية الفكر، وقد ضربت بعض الأمثلة التي تشــهد علــى ذلك.

وأشرت إلى الآثار المترتبة على انحسار دور المسجد في التعليم منها ظهور بعض الانحرافات الاجتماعية مثل: المنازعة، والحسد، والتنافس الــدنيوي، وهذه الانحرافات كان من الممكن أن لا تظهر لو كــان التعلــيم بالمســجد، وبالمجان، لأن طبيعة التعليم بالمسجد لا يسمح بذلك.

وأخيرًا رصدت بعض الأنشطة التعليمية لأشهر الجوامع والمدارس المصرية بدراسة مسحية، من فترة تأسيسها إلــى عصــر المقريــزي (٧٦٤هـــ– ٨٥٧هـــ)، مع الإشارة إلى بعض الملاحظات التي تــأثرت بتــأثير ظهــور المدارس على دور المسجد التعليمي والتربوي.

قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا القزويني، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩م.

٣. البداية والنهاية، ابن كثير، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧م.

٤. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، لا. ت.

٥. الخطط المقريزية، أحمد بن علي المقريزي، دار صادر، بيروت، لا. ت

٦. الخطط المقريزية، أحمد بن علي المقريزي، مطبعة النيل، مصر، ١٣٢٦هـ

٧. الروضتين في أخبار الدولتين أبو شامة، دار الجبل، بيروت، لا. ت.

٨. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو الزمخشري، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٩. المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية، د. حسان حلاق، دار العلم، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

١٠. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن

١١. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين بن شرف النووي، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

١٢. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي، دار الكتب المصرية، ١٩٥٠م.

١٣. النظرية التربوية الإسلامية، ماجد عرسان الكيلاني، الطبعة الثانية، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٨٥م.

١٤. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات ابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.

١٥. تطور التعليم العالي في ظل الحضارة الإسلامية، عمر الشيباني، المنشأة العربية، طرابلس، ١٩٨٢م.

١٦. تلبيس إبليس، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، لا. ت.

١٧. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جلال الدين السيوطي، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، مكتبة الحلبي، القاهرة، ١٩٦٨م.

١٨. دراسات تراثية في التربية الإسلامية، محمود قمبر، دار الثقافة، قطر، ١٩٨٥م.

١٩. سير أعلام النبلاء، الذهبي، تخريج شعيب الأرناؤوط، الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م.

٢٠. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد زهير، الطبعة الأولى، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٢١. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٢. طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو، الطبعة الأولى، مكتبة الحلبي، القاهرة، ١٩٦٦م.

٢٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٢٤. كشف الظنون، حاجي خليفة، مكتبة المثنى، بغداد، لا. ت.

٢٥. لمحة في تاريخ الأزهر، د. علي عبد الواحد، الطبعة الثانية، ١٩٣٦م.

٢٦. نحو التربية الإسلامية الحرة، أبو الحسن الندوي، الطبعة الخامسة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.

٢٧. نظام التربية الإسلامية في عصر دولة المماليك في مصر، علي سالم النباهين، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، ١٩٨١م.

٢٨. وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩م.

Almasadir & Almarajie

1. alquran alkarim.
2. athar albilad wa'akhbar aleabadi, zakariaa alqazwini, dar sadir, birut, 1969m.
3. albidayat walnihayatu, abn kathirin, altabeat althaaniatu, dar alkitaab alearabii, bayrut, 1967m.
4. albadr altaalie bimahasin min baed alqarn alsaabiei, muhamad bin ealiin alshuwkani, dar almaerifati, bayrut, la. t.
5. alkhutat almaqriziatu, 'ahmad bin eali almiqrizi, dar sadir, birut, la. T
6. alkhutat almiqriziatu, 'ahmad bin ealii almiqrizi, matbaeat alniyli, masri, 1326h
7. alrawdatayn fi 'akhbar aldawlatayn 'abu shamat, dar aljabla, birut, la. t.
8. alkashaf ean haqayiq ghawamid altanzil, mahmud bin eamrw alzumakhshari, altabeat althaalithata, dar alkitaab alearabii, bayrut, 1407h.
9. almuejam aljamie fi almustalahat al'ayuwbiat walmamlukiat waleuthmaniati, du. hasaan halaaqi, dar aleilmi, lubnan, altabeat al'uwlaa, 1999m.
10. almuntazim fi tarikh almuluk wal'ummu, aibn aljuzi, matbaeat dar almaearif aleuthmaniati, haydar abad - aldukn
11. alminhaj sharh sahih muslim bin alhajaji, muhyi aldiyn bin sharaf alnawawii, altabeat althaaniatu, dar 'iihya' alturath alearabi, bayrut, 1392hi.
12. alnujum alzaahirat fi muluk misr walqahirati, abn taghri bardi, dar alkutub almisriati, 1950m.
13. alnazariat altarbawiat al'iislamiatu, majid eursan alkilani, altabeat althaaniatu, dar abn kathir, dimashqa, 1985mi.
14. alnihayat fi gharayb alhadith wal'athra, 'abu alsaeadat aibn al'athir, tahqiq tahir 'ahmad alzaawi, almaktabat aleilmiatu, bayrut, 1979m.
15. tatawur altaelim aleali fi zili alhadarat al'iislamiati, eumar alshaybani, almunsha'at alearabiatu, tarabuls, 1982m.

16. tilbis 'iiblis, abn aljuzi, dar alkutub aleilmiati, bayrut, la. t.
17. hasan almuhadarat fi tarikh misr walqahirati, jalal aldiyn alsuyuti, tahqiq 'abu alfadl 'iibrahim, altabeat al'uwlaa, maktabat alhalbi, alqahirat, 1968m.
18. dirasat turathiat fi altarbiat al'iislamiati, mahmud qambar, dar althaqafati, qutru, 1985m.
19. sir 'aelam alnubala'i, aldhahabi, takhrij shueayb al'arnawuwta, alrisalati, bayrut, 1996m.
20. sahih albukhari, muhamad bin 'iismaeil albukhari, tahqiq muhamad zuhayr, altabeat al'uwlaa, dar tawq alnajati, 1422hi.
21. sahih muslimin, muslim bin alhajaji, tahqiq muhamad fuaad eabd albaqi, dar 'iihya' alturath alearabi, bayrut.
22. tabaqat alshaafieiat alkubraa, eabd alwahaab bin eali alsabki, tahqiq eabd alfataah alhalu, altabeat al'uwlaa, maktabat alhalbi, alqahirati, 1966m.
23. fath albari sharh sahih albukharii, 'ahmad bin ealiin bin hajara, dar almaerifati, bayrut, 1379hi.
24. kashf alzununi, hajiy khalifat, maktabat almuthanaa, baghdad, la. ti.
25. lamhat fi tarikh al'azhara, di. eali eabd alwahid, altabeat althaaniatu, 1936m.
26. nahw altarbiat al'iislamiat alharati, 'abu alhasan alnadwii, altabeat alkhamisata, muasasat alrisalati, bayrut, 1985m.
27. nizam altarbiat al'iislamiat fi easr dawlat almamalik fi masr, eali salim alnabahin, altabeat al'uwlaa, dar alfikr alearabii, 1981m.
28. wfiaat al'aeyan, abn khalkan, tahqiq du. 'iihsan eabaas, dar sadir, birut, 1969m.